

ريفان مرة أخرى

خذوا النصيحة من أعدائكم!

بقلم: جواد بولس



الآن قوية وستبقى محكمة قوية ولن تسمح بتهددها وإخافتها؛ فهي على ما يبدو تعرف إنه إذا لم تحصل "العجائب" فسيكون مصير هذه المؤسسة مثل باقي مؤسسات الدولة، لأن سادة النظام الجديد لن يدعواها تعمل وفق رؤى وقيم لا تخدم ما يخططون إحرازه وبناءه. قد نسمع منها في المستقبل القريب مواقف أكثر صراحة ومباشرة، كما سمعنا ممن سبقوها، فهي تترك حصنها وأمامها تنهار أو أصغر العمل المتبعة منذ عقود في وزارة العدل، حيث تقوم الوزيرة ومساعدوها باستبدالها بنظم وأسس جديدة أجدداتهم السياسية بشكل مكشوف وبدون تستر أو تردد أو خجل، وينافسهم، على جبهات أخرى، في مسيرة هدم "الحصون" القائمة، تنتباهو ورجالته الذين لا يضيعون فرصة إلا ويتجهمون فيها على رموز الدولة والقانون، فثارة يناكفون القضاة المعارضين وحيناً يلوحون لقاتل الشرطة العام "بالبطافة الحمراء"، وقبلهما ينهالون على مراقب الدولة وغيره، فالقائمة طويلة.

من الواضح أننا كعرب مواطنين في إسرائيل يجب أن نكون أول المعنيتين بما يجري من تغيرات سياسية جذرية، لكننا في الواقع نقف على هامش هذه الأحداث؛ فالجماهير لا تبدي اهتماماً جدياً بما يحصل، بينما لا تولي معظم الأحزاب والحركات السياسية العربية التفاتة ذات قيمة ووزن لتلك التغيرات، بل قد نجد كثيرين يراقبون "الانهايات" بثمانينية الواثق من حتمية "هزيمتهم"، وراحة بال مسكرة، ف"بطيخ يكسر بعضه" و"إن لم تخرب لن تعمر" و"هذه نهاية دولة اليهود" وما إلى ذلك من أماني لا يعرف أصحابها أنها لن تختم على الأرض، إذا اختمرت، إلا على أنقاض الجماهير العربية التي سيكون خبثاً أول ما يوضع في طاحونة الخراب المشتهة لديهم!

بعد الجريمة في قرية دوما وحرقت عائلة الدوايشة، قيل عامين، أطلق الرئيس ريفان موقفاً واضحاً حازماً صريحاً أدان فيه الجريمة بدون أن يرفق الادانة بأي تبريرات ولا يتحفظ من أي نوع كان كما فعل غيره من السياسة اليهود، وقد جاء موقفه، في الواقع، بعد مشاركته كرئيس دولة في إحياء ذكرى مذبح كفرقاسم وتكلم فيها بلغة جديدة بحق العرب مواطني إسرائيل فاستغزى بخطابه قوى اليمين التي بدأت تهاجمه بدون هوادة وقاموا بتعميم صورته وهو يلبس العقال والكوفية مثلما فعلوا بعد خطابه على اثر جريمة دوما ووصفوه بالخائن ونصحوه بالهجرة الى غزة وتوعده بمصير يشبه مصير رابين وشارون.

كثيرون قالوا في حينه أنه وأشباهه يفعلون ذلك تبييضاً لدولتهم ولصالحها، فلا يجب أن نصدقهم، وآخرون أكدوا أنه وأمثاله صهيانية لن يخلعوا بدون هوادة وقاموا بتعميم صورته، والبعض لا يهمنه ما يفعله اليمين ولا من يعارضه من اليهود فمن يؤمنون أن خراب الدولة سيسبق ضرب أعناق مواطنيها العرب، فلنستبشر لأننا إلى النصر أقرب.

مر عامان وفي مطارحنا علا ويعلو صوت الرصاص أكثر وأكثر وفي ساحاتنا تلهو العقارب في عرى السراب. حروب "المعصومين" ضد "الشبيحة" و"المستشبحين" و"الإشباح" و"المستعصمين" و"العصاة" مشتتلة والخراب حولنا "يزدهر" والقيادات تتملق أو تستقرق أو تنتخب، أو تصمت، و"الثورة" زاحفة نحو خطبها المعهود.

في حينه صرخت، "معاً و تحت أعواد المشانق" واليوم ما زلنا نضغي لأعدائنا ونسويهم بأعدائهم، فمتى سنهزم، قبل الصخر والخطب، أننا مقدمون على نار جديدة، وحنانينا إذا سمعنا حسيبها قبلما يحرقتنا هجيجها؟

الجندي القتال "أزاريا" حين وجد قائد الأركان نفسه وسط العاصفة ومثله كان نصيب القضاة والنائب العسكري وكل من كان شريكاً في تلك المحكمة "المسرحة". ولن ننسى أن رئيس "الشبابك" نفسه كان عرضة قبل مدة قصيرة لهجمات نفس القوى الشريكة بتلك "الثورة" التي تحدث عنها ريفان ووصفها أيضاً آخرون وحذروا من عواقبها الوخيمة التي ستحل على جميع من لن يكون في صف أولئك "المنقلبين" وفي طليعة ضحاياهم، بطبيعة الحال، ستكون نحن المواطنين العرب في إسرائيل.

بترامن من شأنه أن يعزز حدة المشهد قامت قبل يومين مجلة

في واحدة من أشهر هذه "المعارك" بينهما تعمدت نائور كشف مضمون رسالة بعثتها إلى شاكيد احتجت فيها على أسلوب عمل الوزيرة، فوصفت ما انتابها في إحدى جلسات العمل، بمجاز مقلق، مصورة أحاساسها بوجود مسدس وضعته الوزيرة بينهما على الطاولة، في إحياء لأجواء الترهيب المتعمدة.

"المحامي" (عدد رقم ٣٧)، والتي تصدرها نقابة المحامين في إسرائيل بنشر مقابلة مطولة مع رئيسة المحكمة العليا "مريام نائور" وذلك بمناسبة بلوغها سن التقاعد، بعد ٢٨ عاماً من عملها في سلك القضاء الذي بدأت فيه قاضية في محكمة الصلح وتدرجت حتى رأس الهرم مستبدلة أحد رموز وأعلام هذه المؤسسة القاضي أهرن باراك.

لقد اشتهرت مريام نائور في السنوات الأخيرة بسبب مناكفات وزيرة العدل "ألييت شاكيد" لها وتحرشاتها الدائمة في عمل الجهاز القضائي وإعلانها عن نيتها السافرة بزرق قضاة "محافظين" في جهاز القضاء خاصة في المحكمة العليا وذلك بإشارة مشفرة منها عن رغبتها بادخال قضاة يمينيين يعززون تغيير طابع المحكمة الليبرالي الحالي، برأيها، وتحولها إلى محكمة تؤدي وظائف اليمين الأيديولوجي.

في واحدة من أشهر هذه "المعارك" بينهما تعمدت نائور كشف مضمون رسالة بعثتها إلى شاكيد احتجت فيها على أسلوب عمل الوزيرة، فوصفت ما انتابها في إحدى جلسات العمل، بمجاز مقلق، مصورة أحاساسها بوجود مسدس وضعته الوزيرة بينهما على الطاولة، في إحياء لأجواء الترهيب المتعمدة.

لم تتطرق القاضية نائور في مقابلتها الطويلة إلى شؤون ذات طابع سياسي واضح وذلك بسبب حرصها، كقاضية، على إبقاء الحياد في المسائل غير القضائية، لكنها عادت وأكدت في تصريح يحمل كثيراً من المؤشرات والمعاني على أن "المحكمة العليا كانت قوية وهي

قد يكون خطاب رؤوبين ريفان، رئيس دولة إسرائيل، الذي ألقاه في افتتاح الدورة الشتوية "للكنيست" يوم الاثنين الفائت، واحداً من أهم الخطابات السياسية في حياة هذه المؤسسة وسيبقى، من دون شك، علامة فارقة في تاريخ النظام السياسي الإسرائيلي وحياة الشعب اليهودي في العصر الحديث.

من الضروري مراجعة أقواله على خلفية صخب سكارى القوة وأصداء قهقهاتهم التي تملأ فضاءات الدولة وتحجب النوم عن عيون كثيرين من نخبة السياسية والاجتماعية الذين بدأوا يستشعرون حلقة الأيام القليلة واقتراب نهاية عصر دولتهم "الآمنة" ليبدأ بعده عصر مملكة "يهودا الجديدة".

لم يعد سراً بأن العلاقات بين ريفان و نتنياهو كانت شبه مقطوعة منذ أشهر، وبعض المقربين من ديوان رئيس الدولة أقشوا مراراً حقيقة غضبه وانتقاداته الشديدة لسياسة نتنياهو ومن في محيطه، وإن بدأ واضحا أن سهامه من على منصة الكنيست موجهة صوب رئيس الحكومة، نجده في الأساس قلقاً مما هو أكبر وأخطر، فهو يخشى على مصير الحكم في الدولة ومنه على مصير الدولة نفسها، وذلك حين نسمعه يعلن أنه "يشهد في هذه الأيام هبوب رياح ثورة أو انقلاب ثانٍ.. ويرى هذه المرة كيف يصير حكم الأكثرية حكماً مطلقاً..".

لقد شكى ريفان سعي اليمين الحاكم إلى تسييس ممنهج لجميع منظومات الحكم في الدولة وحذر من محاولات هذه الجهات تفويض المفاهيم المؤسسة التي كانت سائدة ونسف قواعد الترابط والتباعد بين جميع السلطات بنهج يسوغ لهم الانتقاض على كل إطار ومنصة ومينر وراوية وحصن في الدولة، ف"الصحافة والإعلام سياسيان، وكل المؤسسات الديمقراطية، كلها، من الموظف الصغير وحتى مكتب مراقب الدولة هي مؤسسات سياسية، المحكمة العليا سياسية، قوات الأمن سياسية، الجيش سياسي، كل جهات الأرض صارت في عرف الأكثرية المطلقة سياسية.. تريد هذه الثورة أخيراً تمزيق أقدعة الرياء المتخيلة من على أوجه "حراس التخوم".. في هذه الثورة سيكون الحاكم هو نفسه الضحية، "سوف نريكم ماذا سيكون" هذا هو صوت هذه الثورة.. لقد انتهت حقبة رفعة الدولة/ هالة المؤسسة، فليات بعدها الطوفان".

بهذه الكلمات الحازمة تكلم وحذر سليل "جابوتينسكي" ومن كان شريك "بيغن" تاريخياً، وهو يرى بعينه الثاقبتين اقتراب الطوفان والعاصفة ويؤكد أمام العالم والشعب ومثليه ومن لم تصدق أذناه تقهقهة الحديد، أنه لا يصح إلا أن يصف "ما تشاهده عينا.. وعلى ما يبدو إنها محاولة مستمرة لضعاف مكانة حراس تخوم الديمقراطية الإسرائيلية". قالها بكلمات مدويات نائراً القلق في بطون الغيب الأبيض.

في الواقع لم يبق أمام اليمين المهووس "بقرات مقدسة" ولا حتى ما جرى تحييده عرفاً خلال احتدام الصراعات الكلاسيكية بين التيارات السياسية التقليدية منذ بدايات الدولة وحتى إطلاق شعائر الانقلاب الأخير الذي يصف معاملة ريفان باقتضاب وبصرامة؛ لقد نوهنا مراراً منذ سنوات على أن هذه التغيرات متفاعلة بوتائر عالية وقد نجحت باختراق منظومات الإدارة على جميع مستوياتها، فبعد اطباق تيارات اليمين على رقبة الكنيست وتأمينهم لاكثرية مطلقة فيها بدأوا يتغلغلون في جميع مفاصل الوزارات والمؤسسات الهامة ثم اتبعوا ذلك بادخال "رجالناهم" إلى السلطة القضائية وما يتفرع عنها، حتى تفرغوا مؤخرًا إلى معركتهم الحاسمة فصبوا جام غضبهم وفولان قبضاتهم على صدر المحكمة العليا، وهي آخر معالم النظام القديم، التي ما طفتت تدافع عن وجودها بصلابة أحياناً وبترنج أحياناً أخرى.

لم يسلم الجيش من هجماتهم وذلك كما تجلى، مثلاً، في محكمة

رئيس التحرير: زكريا حسن
zakariahasan22@gmail.com

القرارات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة، المواد المرسلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر - الأعلانات على مسؤولية المعلن

المحرر المسؤول:
وليد صالح حسن

alwan@barak.net.il

الناصرة. ص. ب 50198 ميكود 16000
هاتف: 04-6562513 فاكس: 04-6562512
قسم الاعلانات: hades.adv@gmail.com

www.hades.co.il

حديث الناس
تصدر عن شركة حديث الناس م.ص